

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[21] المحكمة الكبرى، (إِيَّكَ نَعْبُدُ وَإِيَّكَ نَسْتَعِينُ) تبيّن التوحيد في العبادة، والتوحيد في الاستعانة بالأسباب. (إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) توضّح حاجة العباد ورغبتهم الشديدة للهداية، وتؤكد حقيقة أن كل ألوان الهداية إنما تصدر منه تعالى. وآخر آية من هذه السورة ترسم معالم (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) وتميّز بين صراط الذين أنعم الله عليهم، وصراط الذين ضلّوا والذين استحقّوا غضب الله عليهم. ويمكن تقسيم هذه السورة، من منظار آخر إلى قسمين: قسم يختصّ بحمد الله والثناء عليه، وقسم يتضمن حاجات العبد. وإلى هذا التقسيم يشير الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَسَمْتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، فَنَصَفْتُهَا لِي وَنَصَفْتُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. إِذَا قَالَ الْعَبْدُ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: بَدَأَ عَبْدِي بِاسْمِي وَحَقَّ عَلَيَّ أَنْ أُتَمِّمَ لَهُ أُمُورَهُ وَأُبَارِكَ لَهُ فِي أَحْوَالِهِ. فَإِذَا قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: حَمَدَنِي عَبْدِي وَعَلِمَ أَنَّ النِّعَمَ الَّتِي لَهُ مِنْ عِنْدِي، وَأَنَّ الْبَلَايَا الَّتِي دَفَعْتُ عَنْهُ فَبْتَطَوُّ لِي، أُشْهِدُكُمْ أَنْ نَبِيَّ أَوْفِيَّ لَهُ إِلَى نِعَمِ الدُّنْيَا نِعَمَ الْآخِرَةِ، وَأَدْفَعُ عَنْهُ بَلَايَا الْآخِرَةِ كَمَا دَفَعْتُ عَنْهُ بَلَايَا الدُّنْيَا. وَإِذَا قَالَ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: شَهِدَ لِي عَبْدِي أَنَّ نَبِيَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أُشْهِدُكُمْ لَأَوْفَرَنَّ مِنْ رَحْمَتِي حَظَّهُ وَلَأَجْزَلَ لَنْ مِنْ عَطَائِي نَصِيبَهُ. فَإِذَا قَالَ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قَالَ اللهُ تَعَالَى: أُشْهِدُكُمْ كَمَا اعْتَرَفَ بِأَنْ نَبِيَّ أَنْزَلَ مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ لَأُشْهِدَنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ حِسَابَهُ، وَلَأَتَقَبَّلَنَّ حَسَنَاتِهِ، وَلَأَتَجَاوِزَنَّ عَنْ سَيِّئَاتِهِ. فَإِذَا قَالَ: (إِيَّكَ نَعْبُدُ) قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ عَبْدِي، إِيَّايَ يَعْبُدُ أُشْهِدُكُمْ لَأُثَبِّتَهُ"